وتميته مرة اخرى : لقد التقيا هنا تحت ظل انسانية عارمة مدركة واعية ممتزجة بالعاطفة . ولننحدر نحو قصة اخرى . ينتقل ذو النون في قصة(عجفاء) الى منزل جديد .. غرفة في دار يسترعي انتباهه فيها شخصية عجفاء هذه وهي انسة مزمنة مع سبق الاحرار يطنب قصاصنا في وصف عاداتها وامالها والامها ، ولكن الذي يؤرقنا هو خروجه - هذا الخروج المزحوم الذي يطرب القارىء بعض الاحيان ويؤلم الناقد في كثير منها - خروجا يبلغ بها (اي القصة) حد العرض ، واذا كان لناقد ان يقول اني انا باسم عبد الحميد حمودي قد خرجت عن قواعد القصة في قصة المحروم (١) فخاطبت القارىء مباشرة فانا اعترف بأنه خطأ لا يصح ، اما النقاد الذين تغاضوا عن ذلك بالنسبة لي فلا ينبغي ان يتغاضوا عن هذا الخطأ المؤذي للفنية والذي ارتكبه طود القصة الضخم المعطاء الاشم .. ذو النون ايوب في هذه القصة .

والنتيجة .. اننا ان اردنا ان نرى شيئا يتعلق بالغربة في هذهالقصة فلا نجده الا في انتقاله من دار الى دار وهو امر لا يثيرنا في شيء.

وفي قصة (اللاجيء اللاجيء) نجد معنى الغربة متكاملا واضحا يقف كجبل ضخم امامنا يسترعي انتباهنا بشتى الطرق حتى نتحسسهونشعر به ويكتنف ارواحنا عندما نصغي الى ايوب يقول عن فينا : « لا ريب أن فين (٢) مأوى اللاجئين في عصر اللاجئين » فيأتي تداعي المعاني مثقلا بظله علينا جارا عقلنا بآفاقه الواعية واناه ولاواعيته الى مشكلتنا المصمدة المحرقة .. لاجئونا نحن .. عرب فلسطين . تصور القصة يوما عسيرا مضطرب الجو من ايام فينا يلتقي فيه لاجئان .. ايوب ولاجيء مجري في (كافيه) ما ويسري بينهما الحديث متطورا الى جدل سياسي يقتطعه في منتصفه لاجئان آخران .. (غريبان) من الجزائر ومن فلسطين .. بلدي النكبة والتحرر المتوثب ، فيزداد الجدل حدة للفشاوة المؤسفة التي تظلل عيني الهنغاري الذي يصر على ان الجزائري فرنسي .. غير عربي ، وذلك لتأثره بهزات كتف مدام ماريان .. ونحن نرى ان الحديث قد جرنا الى اشياء اخرى بعيدة عما اردنا ان نحدده في عنوان موضوعنا فحسبنا من هذه القصة هذا التعليق .

اما (المنتحرة) فتمر بالغربة مرا سريعا ليس فيها من معناها الا تطوع الغريب الى وصف قصة غرام بين شابين تنتهي بالانتحار وهذه مسألة نتركها للنقاد الذين سيبحثون من جميع الزوايا .

اما القصة الاخيرة (بدماء القلب) فهي رغم طرافتها بعيدة عما نريده .

والخلاصة .. لا زال ذو النون يستخدم السرد والسرد فقط في كتابة القصة ولا زال يتدخل في شؤون الابطال ويحركهم كيفما يشاء تحريكا نتقبله بسذاجة احيانا وبضجر احيانا اخرى ، ولكننا نجده في معظم قصص مجموعته الاخيرة هذه قد قادنا الى شعور جديد .. انساني ، لم يتح لاكثرنا ان يعانيه (٣) لبعده عن بيئته ولرتابة حياته فايوب قد اغترب سنوات خارج العراق واستوحى قصصه الاخيرة من غربته ... قصصا حارة لاهبة تذكيها مشاعره المتدفقة المرتعشة الساخرة الحاقدة على الظروف ، فصاحبه التوفيق وزاد عملقة رغم انه لم يتعب ولم يشعرنا بأنه يتعب في نحت الحرف ... ان « قصص من فينا » قد اضافت شيئا جديدا للادب العربي وحسبنا ان نختتم بحثنا بالتأكيد على هذا القول ..

بغداد **باسم عبد الحميد حمودي**

(١) انا عاطل .. وقصص اخرى لباسم حمودي .. ص ٣ وما بعدها .

(٢) فين : هي فينا كما ينطقها سكانها

(٣) عدا ضحايا فلسطيننا وجزائرنا

السجينة

*

يموت عند بابك الضياء
ويصبح الصباح في دياركم مساء
ورنة العصفور في دياركم عويل
وأنت تقبعين خلف ذلك الجدار
وظله طويل
يمتد فوق جسمك النحيل
وانت تسمعين
اباك كل يوم
يجتر كلمتين
يجتر كلمتين في الصباح والمساء
وأمك العجوز
تظل تغزل الاوهام
بمغزل الخرافة العتيق
تشيد من خيالها السحيق
عوالما رجالها وحوش
وانت والنساء كالظباء في الفلاة
وتبذر الظلام
والرعب والاوهام
في قلبك الصغير
وفي المساء
ما زلت تحلمين
بمطلع النار
وتبصرين خلف ذلك الجدار
جماعة العشاق حلف ذلك الجدار
وتقرأين في عيونهم سطور
وتعرفين من يكن في فواده الغرام
وتبسمين
وترسلين نظرة الحبيب للحبيب
وتنتهي حكاية الجدار
.....
ويطلع النهار ...
لكنما ابوك عاد للحديث
يجتر كلمتين
وامك العجوز
تردد الاوهام من خيالها السحيق
وعدت بعد حلمك الطويل
تحملقين في الجدار
يسد عن عيونك النهار

مبارك حسن الخليفة

ام درمان - السودان